مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ـ المجلد ١١ (العددان ١و٢)١٤٠٩-١٩٨٩م

"موت المؤلف" بين النظرية والتطبيق في النقد البنيوي العربي المعاصر

الدكتور خالد سليمان
كلية الآداب
جامعة اليرموك ـ الأردن

قد يكون من قبيل الحديث المعاد أن نقول أن المنهج البنيوي ،منهجا نقديا ،قد لقي حماسة ملحوظة لدى مجموعة لايستهان بها من النقاد العرب المعاصرين أكاديميين وغير أكاديميين . لقد " دخلت البنيوية مجالنا الثقافي " (١) ،وأصبحنا نسمع كلاما عن البنيوية يدور على لسان كثير من مثقفينا . كما أن معظم اللقاءات النقدية تشهد احتدام النقاش حول أهمية البنيوية ،وصلاحيتها منهجا نقديا يسمو على المناهج النقدية الأخرى لدى فريق ،أو عدم صلاحيتها لدى فريق ثان ،واعتبارها تدجيلا أو " جدولة احصائية " أو " انتاجا ميكانيكيا آليا " (٢) لايخدم قضية النقد خدمة حقيقية ،ذلك أنها " تقدم صورة خادعة في كمالها المطلق ،ومظهرها العلمي " (٣) ،كما أنها تؤدي الى انتزاع الروح من العمل الأدبي ،ومن النقد تبعا لذلك ". (٤) .

وربما يكون من قبل الحديث المعاد ايضا التذكير بأن " البنيوية " فكرا ومنهجا نقديا ،قد هوجمت في الغرب ،من قبل كثيرين ،هجوما حادا . ولعل النعوت التي أطلقها ناقد فرنسي ،وأستاذ جامعي ،هو ريمون بيكار ،في كتابه " نقد جديد أم تدجيل جديد " الذي صدر عام ١٩٦٥ ،عن بارت ومنهجه النقدي البنيوي ،من مثل " تدجيل" و " الأخرق " و " سخافات " و " مخاتلات فكرية " وحصيلة استدلالات زائفة "،وغير ذلك من نعوت وأوصاف لاذعة ، (٥) مايدلل على أن طريق المنهج البنيوي في النقد،لم يكن طريقا معبدا . كما أنه لم يستطع أن يفرض نفسه منهجا نقديا له الهيمنة التامة في ساحة النقد الأدبي .

ومن بين أعلام البنيويين الذين كان لهم التأثير الأقوى على نقادنا ممن تبنوا المنهج البنيوي يبرز اسم الناقد الفرنسي رولان بارت (R . Barthes : 1915 -1918) الذي استقى كثيرا من مفاهيمه في دراساته النقدية والأدبية من جهود العالم اللغوي السويسري دي سوير Ferdinand de Sassure 1857 - 1913 حيث كان بارت يعتبره " معلمه الأكبر "(٦). كما استقاها ايضا من جهود الشكلانيين الروس .

وما يهمنا في هذه الدراسة محور في موضوع لقي من اهتمام " النقد الجديد " بشكل عام ، واهتمام بارت بشكل خاص، وبالتالي من اهتمام نقادنا من أنصار " المنهج البنيوي " مالم ينله موضوع آخر الا وهو موضوع " النص " . أما المحور الذي نتناوله فيه فهو مقولة غياب المؤلف أو"موته" كما سماها بارت . وقبل أن نتعرض بشيء من التفصيل الى هذه المقولة ،

نرى أنه لامندوحة لنا عن التعرض الى المفهوم الألسني / البنيوي للنص تعرضا سريعا يمهد لغرضنا .

لقد شبه بارت النص " بقص البصل، حيث لالب ولانواة ولا قلب ، ولكن هناك بصلة تتكون من أغشية متتالية بعضها فوق بعض ونزع الأغشية يكشف عن غشاء مماثل حتى النهاية ، حيث لانهاية ولا بداية ، فكلها أغشية ، وكل الأغشية لب . والغشاء ليس غطاء لنواة أو للب داخلي ، وانما هو غطاء لغشاء مثله وهذا هو النص الأدبي فوجوده ذاتي فيه ، وليس لشيء مخبوء فيه . " (٧) .

هذا الفهم ينظر الى النص على أنه عبارة عن شبكة من عناصر الاتصال اللغوية تتحد فيها " شفرته " (٨) مع سياقة "(٩) لتكوين " رسالته " (١٠) وهنا يلتقي الباعث أو المرسل مع المتلقي في نفخ الحياة في هذه الرسالة ، وفي استقبالها وتفسيرها من جديد . والغاية من ذلك الرسالة نفسها ، حيث يكون الشكل والجوهر قد توحدّا فيها ، ويصبح الشكل هو الجوهر والجوهر هو الشكل . والقشرة هي اللبوواللب هو القشرة . (١١) .

ولما كان النص عبارة عن شبكة من عناصر الاتصال اللغوية ، فان خير وسيلة للنظر في هذا النص ، من وجهة النظر البنيوية ، هي الانطلاق من مصدره اللغوي أي من بنيته (١٢) اللغوية . ومن هنا جاءت استفادة البنيويين من الجهود اللغوية الألسنية وبخاصة جهود العالم اللغوي دي سوسير ، كما أشرنا .

لقد ميز سوسير بين اللغة من حيث هي نظام اجتماعي أو مؤسسة اجتماعية تربط بين الأفراد ، وتشكل نوعا من الوساطة بينهم (١٣) ، وبين الكلام أوالقول الذي هو نشاط فردي متغير، (١٤) أو " تحقيق فردي عيني للغة " (١٥) ولهذا فان موضوع البحث اللغوي عنده توجه بشكل أساسي الى البحث في النظام العام الذي يؤسس اللغة ، وليس الى الاستخدام الفردي لها . (١٦) .

وخلال عملية تخلق النص يبرز قطبان : القطب الأول : المفردة (العلامة) التي تشكل وحدة في البناء ، وفي علاقاتها مع الوحدات / العلامات الاخرى . وهنا يجد المنشيء أو المبدع المجال مفتوحا امامه لتأليف مقولته من وحدات يقوم بربطها مع بعضها حسب مزاجه أو تجربته . والقطب الثاني : النظام العام للغة الذي يتحكم بقواعد النظم ، وبقواعد الاجبار التي يفرضها هذا النظام العام . أي أن المنشيء هنا يملك حرية الى درجة ما. لكن هذه الحرية ليست مطلقة ، بل هي محكومة بقوانين اللغة ونظمها .

ولهذا يسعى التحليل البنيوي الى :

١ ـ توجيه الاهتمام ليس الى توضيح لماذا نطق فرد معين بسلسلة من الكلمات في لحظة معينة ، وانما الى تبين لماذا تملك هذه السلسلة من الكلمات الشكل والمعنى اللذين نجدهما فيها، وذلك عن طريق ايجاد علاقة بين هذه السلسلة ونظام اللغة .(١٧) .

٢ ـ التركيز على دراسة البنى الداخلية التي تألفت العناصر على بنائها أوتكوينها بهدف اكتشاف الأنظمة العامة التي تحكمت في هذه البنى ، واكتشاف السياق الذي يمكن أن يكون قد أثر فيها . وبكلمات أخرى فان مسار حركة التحليل البنيوي تتجه من داخل النص : بنيته ونسيجه ، الى خارجه ، ليكتشف سياقه في مرجعيته من قائل وبيئة وتاريخ وما الى ذلك .ويمكن تمثيل هذه الحركة بالرسم التالي :

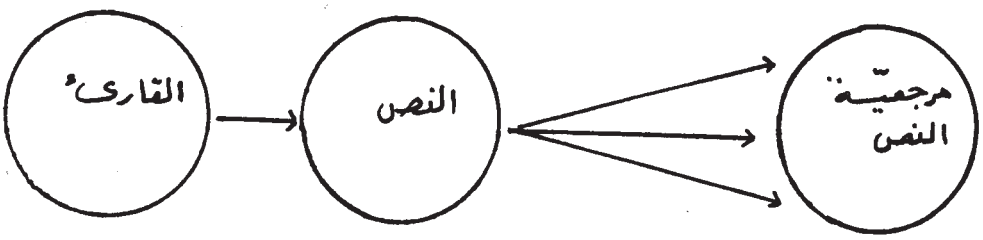

وذلك بدلا من كون مسارها يتجه من خارج النص : مؤلفه وعصره وبيئته ونفسيته وقصده ... الخ ، الى بنيته ونسيجه ، كما يمثل الرسم التالي :

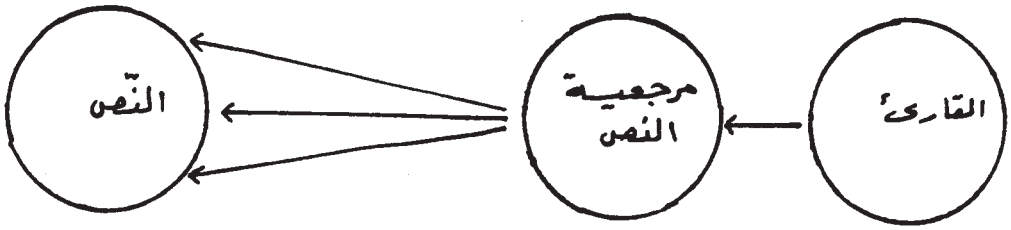

ولتحقيق هذا المسار دعا البنيويون الى ابراز دور القارئ في عملية التحليل والتقليل من شأن دور المؤلف أو المنشئ فيه ، بل وانكار هذا الدور ، كما فعل بارت في أكثر من مقالة ودراسة. ففي مقالة " Critique et Verite "(النقد والحقيقة) التي صدرت عام ١٩٦٦ ، يقول مستنكرا ادخال الأديب أو سيرته في دراسة النص " ان هذا هو نمط النقد البيوغرافي الذي يقيم علاقة منهجية بين الأثر الأدبي وحياة الكاتب . وقد حظرت السيكولوجيات الجديدة هذا النوع من التفسير الذي لايزال بعض الجامعيين يمارسونه " (١٨).

وفي مقالته " From Work to Text " (من العمل الى النص) يوضح أن المؤلف لم يعد رمزا لامتلاك النص ولأبوته . ويبين أن دوره في النص لايجب أن يتعدى دور"زائر" له (١٩) . كما يبين أيضا أن القارئ هو الذي يقوم بانتاج النص ثانية من خلال تفاعله معه " كمنتج" له وليس كمستهلك"(٢٠)

أما المقالة الاكثر شهرة في هذا الصدد ، فهي المقالة التي بعنوان : " The Death of the Author " (موت المؤلف) . وفي هذه المقالة يتوسع بارت في شرح مقولته بضرورة اخراج المؤلف اخراجا كليا من عملية تحليل النص . وهو يرى أن " المؤلف " شخصية حديثة النشأة في المجتمع الغربي ، حيث أن" الايدلوجية الرأسمالية هي التي أولت أهمية قصوى لشخص المؤلف ، (٢١) وما زالت هذه الشخصية - يستطرد بارت - تلعب دورا بارزا في الدراسات الأدبية والنقدية . وان صورة الأدب في الثقافة المتداولة مازالت تتمركز

" أساسا حول المؤلف وشخصيته وتاريخه وأذواقه وأهوائه . وما زال النقد يردد، في معظم الأحوال بأن أعمال بودلير وليدة فشل الانسان بودلير ، وأن أعمال فان غوغ وليدة جنونه ، وأن أعمال تشايكوفسكي وليدة نقائضه ، وهكذا يبحث دوما عن تفسير للعمل من جهة من انتجه (٢٢)

ويوضح بارت أن ممارسات البنيويين في تغييب المؤلف خلال عملية تحليل النص، قد سبقتها محاولات عديدة ، عملت هذه المحاولات والممارسات أساسا على تقويض أهمية المؤلف ، وبالتالي الى اعلان موته . وتتلخص هذه المحاولات بما يلي :

١ ـ محاولات الأديب الفرنسي مالارميه

Stephane Mallarme : 1842 - 1898

حيث كان " أول من تنبأ بضرورة احلال اللغة ذاتها محل من كان حتى ذلك الوقت يعد مالكا لها . فاللغة في رأيه ، كمافي رأينا (بارت) هي التي تتكلم وليس المؤلف " (٢٣) .

٢ ـ جهود بول فاليري : Paul Valery 1945 - 1871 ، حيث رأى فيها بارت استكمالا لمحاولات مالارميه . وكان فاليري ، على الدوام ، يضع المؤلف" موضع شك وسخرية ، ملحا على الطبيعة اللغوية والعفوية لعمل المؤلف مؤكدا من خلال كتاباته على الطبيعة اللفظية للأدب، تلك الطبيعة التي كان يبدو معها أي لجوء الى دواخل الكاتب مجرد خرافة ."(٢٤)

٣ ـ الحركة السريالية . وينبع دورها في خلخلة مكانة المؤلف في النص ، ونزع الطابع القدسي الذي كانت تتخذه صورته من خلال :

آ ـ دعوتها الى الخروج المباغت عن المعاني المتوقعة .

ب ـ اطلاقها العنان لليد لتخط بأسرع مما يمكن أن يخطر حتى فى الرأس ذاته

ج ـ مقولتها المتعلقة بمبدأ الكتابة المتعددة المؤلفين (٢٥).

٤ ـ الدراسات اللسانية . حيث ركزت هذه الدراسات على بيان أن عملية القول واصدار العبارات عملية يمكن أن تؤدي دورها على أكمل وجه ، دون أن تكون هناك ضرورة لاسنادها الى أشخاص المتحدثين.(٢٦)

ويعلل بارت من ثم فلسفته بضرورة تغييب المؤلف عن النص بقوله :

" ان نسبة النص الى مؤلف معناها ايقاف النص وحصره ، واعطاؤها مدلولا نهائيا . انها اغلاق الكتابة ... وعندما يأبى الأدب النظر الى النص كما لو كان ينطوي على " سر " أي على معنى نهائي فان ذلك يولد فعالية يمكن أن نصفها بأنها ضد اللاهوت ، وأنها ثورة بالمعنى الحقيقي للكلمة : ذلك أن الامتناع عن حصر المعنى وايقافه ، معناه في النهاية رفض اللاهوت ودعائمه من عقل وعلم وقانون(٢٧)

* * *

لقد تبنى المنهج النقدي البنيوي عدد من النقاد العرب الذين برزوا في فترة السبعينات والثمانينات ، وقاموا بدراسة مجموعات من النصوص الشعرية والنثرية ، القديمة والحديثة وفق هذا المنهج في خطوطه العامة .

وكنا قد خططنا في بداية شروعنا بهذا البحث اختيار مجموعة من الدراسات النصية (٢٨) شعرية ونثرية ، تبنت هذا المنهج في اطاره العام ، وذلك بغرض تفحص مدى غياب المؤلف فيها ، وهل كانت النتائج التي خرجت بها تلك الدراسات التطبيقية نابعة حقا من دراسة بنى النص ، أم أنها نتائج مبنية على معرفة هؤلاء النقاد المسبقة بمؤلفي النصوص التي تناولوها ، وبسيرة حياتهم ودقائقها ، وان هذه المعرفة

قد فرضت نفسها على تلك النتائج فجاءت النتائج " تلفيقا " للمقولة ؟ واذا كانت مقولة " موت المؤلف " لم تتحقق في تلك الدراسات ، فهل ينبع ذلك من فشل الدارسين أنفسهم في فهم المقولة وكيفية تطبيقها أم ينبع من خلل في المقولة نفسها .

ولكننا وجدنا ، بعد استكمال ملاحظاتنا على تلك الدراسات التطبيقية ان التعرض لها كلها لن يكون ممكنا هنا في هذه الدراسة ، وذلك لاستحالة تكثيفها لتناسب التقديم في ورقة موجزة ، ولتقارب النتائج التي تم التوصل اليها بشكل كبير في جوهرها ، بحيث بدا أنه سيكون هناك تكرار ملحوظ يمكن الاستغناء عنه بالتركيز على دراسة واحدة منها .

وقد آثرنا أن تكون دراسة الدكتور كمال أبو ديب لاحدى النصوص النواسية الخمرية . الدراسة التطبيقية التي ندرس من خلالها مدى غياب الشاعر / المؤلف عن نصه خلال عملية تحليل النص . وقد جاء اختيارنا لهذه الدراسة نابعا من عدة عوامل، من بينها : أن الدكتور " أبو ديب " يعتبر ولا ريب من أبرز نقادنا المعاصرين ممن درسوا المنهج البنيوي واستوعبوه ،وتحمسوا له منهجا نقديا حديثا ، كما أنه قام بتطبيق هذا المنهج على نصوص متعددة قديمة وحديثة .

* * * *

النص :

" صبوح "

الشاعر : أبو النواس

١- يا ابنة الشيخ أصبحينا
ماالذي تنتظرينا

٢ - قد جرى في عودك الماء
فأجري الخمر فينا

٣ - انما نشرب منها
فاعلمي ذاك يقينا

٤ - كل ماكان خلافا
لشراب الصالحينا

٥ - واصرفيها عن بخيل
دان بالامساك دينا

٦ - طوّل الدهر عليه
فيرى الساعة حينا

٧ - قف بربع الظاعنينا
وابك ان كنت حزينا

٨ - واسأل الدار متى فا
رقت الدار القطينا

٩ - قد سألناها وتأبى
أن تجيب السائلينا

تناول الدكتور أبو ديب ثلاثة نصوص نواسية بدأها بهذا النص . وقد جاء تحليله له مطولا بلغ أربعا وعشرين صفحة .(٢٩) وسنتوقف عند نقطتين مهمتين في هذا التحليل ، لأنهما يشكلان النتيجة التي خرج بها الناقد ، ولأن الناقد نفسه قام بابرازهما

أولا : بعد أن بين الدكتور أبو ديب أن التحليل البنيوي للقصيدة يظهر أنها " تنقسم انقساما أفقيا الى شريحتين تشكلان ثنائية ضدية ينفي طرفها الأول طرفها الثاني برفضه ورفض العالم الذي يمثله ، يمكن أن يميز انقسام مماثل على مستوى شاقولي في القصيدة ، هو الانقسام الذي يضع الشاعر في مواجهة الآخر بوصفه الآخر المجسد للقيم الاخلاقية الجماعية"(٣٠) توقف عند عبارة " يا ابنة الشيخ "ليتساءل

لماذا يختار الشاعر ابنة شيخ ليطلب منها أن تسقيه الخمرة ؟ ويجيب عن ذلك:

" مهما كانت الظروف التاريخية التي كتبت فيها القصيدة ، فانها لاتفقد العبارة دلالتها في بنية القصيدة الكلية يلاحظ بدءا أن ابنة الشيخ تقع في الحيز الذي يربط الخمرة بالآخر ، فهي الساقية وهي ابنة التراث الاخلاقي فهي تحمل توترا حادا لانتسابها الى هذين العالمين النقيضين ، وهي لاتشكل توسطا بين الأنا والآخر ، بل انتهاكا من جانب الأنا لقيم الآخر ... فابنة الشيخ تشع بعنصر مفارقة حادة ، وبموقف يصل في رفضه للقيم درجة يريد معها أن يحول الذات التي تمثل هذه القيم الى مصدر انتهاك القيم ذاتها، أي أنه موقف يريد أن يحيل المواجهة الخارجية بينه وبين القيم الى خلخلة داخلية ضمن بنية القيم ذاتها، والى نفي الذات ، وتحدث القصيدة ذلك عن طريق تحقيق انفصام بين الشيخ (مجسد التراث الأخلاقي ـ الديني والشعري أيضا ـ اللغويون كانوا شيوخا ، وكان الكثير منهم فقهاء أيضا) وبين ذات من صلبه (ابنته) ،وهكذا تكشف دلالة الرفض في القصيدة في أول عبارة منها " (٣١) .

وما استوقفنا في هذا الاقتباس المطول أن الناقد قد عين دلالة اللفظة/العلامة " الشيخ " في مجد التراث الأخلاقي ـ الديني ـ الشعري ـ اللغوي ، وهي دلالات محتملة . لكن الدلالة الأكثر احتمالا اسقطها الناقد وهذه الدلالة التي أسقطها بفرضها السياق الذي وردت فيه . وهي دلالة المجرب المسن الذي عركته الأيام أو عركه مرور الزمن واذا ما تم ترجيح هذه الدلالة يصبح طلب الشاعر من هذا المنادى (ابنة الشيخ)ـ والطلب المنصوص عليه تقديم الخمرة للشاعر وصحبه ـ طلبا لايعكس شنائه ضدية بقدر مايعكس انسجاما في الموقف ، وفي الرؤية ، بين الطرفين : طرف الأنا/الشاعر والطرف الآخر / الشيخ . والشيخ هنا، كما ذكرنا ، ليس هو الشيخ المرتبط بدلالة دينية ، وانما الشيخ المرتبط بدلالة التجربة الحياتية الطويلة . وفي البيت الثاني ، اذا ماتم ربطه بالبيتين الثالث والرابع ، اضاءة كافية على ذلك.فالشاعر يريد خلق معادل في نفسه يوازي عنصر جريان الماء /الحياة في عروق الفتاة . وهذا العنصر هو الخمرة وجريانها في عروقه .

لماذا الخمرة ؟ الاحتمال الأقوى في هذا الاختيار هو أن الخمرة كفيلة بأن تبقي الشاعر مخلصا لفلسفته القائمة على مبدأ اللذة . وهذه اللذه ، حسية كانت أو غير حسية ، هي التي تجعله قادرا على مقابلة فعل الزمن ، الذي لايبقي شيئا على حاله . وفعل الزمن هذا ، وهروب الشاعرمنه أو محاولة مقابلته والوقوف أمامه ،توضحه وتفسره الابيات الثلاثة الاخيرة ، كما سنبين تاليا .

ان اسقاط الناقد الاحتمالية ارتباط الشيخ بدلالة التجريب والممارسة الحياتية الطويلة وحصرها في دلالة دينية اخلاقية وبالتالي ربط دلالة الساقية وحصرها في " ابنة التراث الاخلاقي "، قد جاء نتيجة لرغبة الناقد في اخضاع النص ، للمعرفة الذهنية المتحصلة مسبقا لدى الناقد عن أبي نواس وثورته على الانضباط وفق المعايير الخلقية والدينية .

ثانيا : يرى الناقد في الأطلال "تجسيدا أسمى لطول الزمن ومروره وثقله وافساده للحظة الحيوية والجمال والخصب" ٣٢١)،ولا شك أن مثل هذه الدلالة قائمة لايمكن تغييبها أو انكارها ، ليس في هذا النص فقط ، بل في سياق النصوص القديمة بشكل عام . والناقد نفسه مدرك لهذه الحقيقة ،

وهو يؤكدها في دراسات لنصوص أخرى مثل دراسته لمعلقة لبيد ،ومعلقة امرئ القيس . (٣٣) ويقول في موضع آخر في دراسته التي نحن بصددها ، " ولموضع شريحة الأطلال في القصيدة القديمة أهمية قصوى لأن الأطلال تشكل الحركة الأساسية التي تتجسد فيها رؤيا الشاعر القديم للزمن والموت" (٣٤) لكنه يرى الى جانب ذلك ، أن في تقديم الخمرة على الأطلال ،وأشغالها ستة أبيات في القصيدة ،بينما تشغل الأطلال ثلاثة أبيات فقط ،تجسيدا لقلب الشاعر" للرموز التي تمثلها الأطلال في التراث الشعري ولرفضه الحاد العميق للعالم الذي ترتبط به الأطلال ،ولقداسة تركيبه . فأبو نواس يقلب نظام الكون التراثي ،ويعيد تركيب مكوناته في صورة جديدة ،وضمن شبكة جديدة من العلاقات ،تحتل الخمرة فيها مركز الصورة النمطية المتأصلة في أعماق الذات بدلا من الأطلال التي تخلخل عن موضعها في نظام الأشياء ،وتسقط الى موضع هامشي (أو ذيلي) أي أن رفض الشاعر للتراث يتجسد في تغييره للعلاقات البنيوية التي تتكون منها القصيدة ،في عزله لحركة الأطلال عن الحركة الأولى المليئة بالحياة والرواء ومنحها حيزا مكانيا أصغر ،وقلب أوضاعها بقذفها الى القسم الثاني من القصيدة " (٣٥) .

ومثل هذه النتيجة التي توصل اليها الناقد ينطبق عليها ماذكرناه سابقا من أنه نقد يقدم لنا صورة خادعة في كماله المطلق ومظهره العلمي . (٣٦) لماذا؟ لأنها ادعت لنفسها الوصول الى هذه النتيجة أي موقف أبي نواس من المقدمة الطللية بناء على دراسة البنى المكونة للنص . بينما هي في الحقيقة ،منبثقة عن معرفة واقعة خارج النص ،مما يتصل بالشاعر ونفسيته ومواقفه وما الى ذلك . وهي الى جانب ذلك ،نتيجة طالما أشار اليها نقاد عديدون درسوا شعر أبي نواس ،ولم يتمثلوا هذا المنهج الذي اتبعه الناقد .

ان دراسة بنى الكلام في النص كفيلة بأن توضح أن الترتيب الذي جاءت عليه العلامتان : الخمرة والأطلال - وهما العلامتان المكونتان لبنية القصيدة ،كما يقول الناقد - جاء ترتيبا منطقيا فرضته بنية النص ذاتها . وكان لابد للعلامة الأولى : الخمرة ، أن تسبق العلامة الثانية : الأطلال ،ليس لسبب أن ذلك يعكس موقفا معينا للشاعر تجاه الأطلال وانما لأن وضع الأطلال في الجزء الثاني من القصيدة ،قد اقتضاه ماسبق ، أي الجزء المتمثل في الأبيات من ١ - ٦ .

لماذا ؟

قلنا في الملاحظة الأولى ان الاحتمال الأقوى لدلالة العلامة " الشيخ " اتجاهها الى التجريب والممارسة ،وما يترتب عليهما من فهم الزمن أو الدهر . وليس أدل على تمثل فعل الزمن في الأشياء ،من تفحص الطلول . وقد وعى أبو نواس ذلك تماما ، فهو يبدأ قصيدة أخرى بقوله :

غننا بالطلول كيف بلينا
واسقنا نعطك الثناء الثمينا (٣٧)

ان الطلول في حد ذاتها شاهد على فعل الزمن في الأشياء . وهي شاهد على محدودية استمرار الحياة في الشيء نفسه . وما ذكر الأطلال هنا ووصفها بعد الخمرة الا من قبيل استقراء الشاهد في المخلوق أو الموجود وليس انعكاسا لموقف الشاعر من الأطلال.

وعليه فاننا نرى ان النتيجة التي توصل اليها الناقد ،المتمثلة في ربط مجيء الأطلال بعد الخمرة ، أي احلالها " مرتبة هامشية " هنا قد جاء بسبب " رفض الشاعر الحاد العميق للعالم الذي ترتبط به الاطلال ،ولقداسة تركيبه نتيجة لم تفرضها

دراسة القصيدة وتحليلها من خلال منظور السني بنيوي ،وانما هو اقحام لخارج النص على داخله ،أو بمعنى آخر اقحام لسيرة حياة الشاعر ،ومواقفه المعروفة عنه ،على النص ذاته .

* * *

ان العناصر التي يعتبرها أصحاب المنهج النقدي البنيوي ،عناصر خارجية عن النص وينبغي استبعادها تماما في عملية القراءة والتحليل ،لا بد وأن تتسلل الى النص عند دراسته وتحليله ،وقد لاحظنا ذلك واضحا عند نقادنا ممن توسلوا بهذا المنهج واطمأنوا الى أن " جميع أنواع المعنى يمكن ارجاعها الى البنية أو اللغة "(٣٨) ، وجعلوا هدفهم الصريح" ازاحة التفسير عن طريق الوصف النظري ،وتوليد مجموعة جديدة من القواعد لدراسة فكرة المعنى".(٣٩)

وللتدليل على سلامة هذه النتيجة التي توصل اليها البحث ،ونعني بها حتمية تسلل خارج النص الى داخله ، أو الدخول الى النص بما هو من خارجه من قبيل فرض الموقف المبدئي على بنية النص ، اتفاقها مع ملاحظات أوردها (٤٠) ونبه عليها ،وعلى خطورتها (٤١) عدد من الدارسين العرب ، بل ان بعضهم ممن تبنوا هذا المنهج في اطاره العام . (٤٢)

ان الحضور المستمر الذي مازال للمؤلف الذي أعلن الناقد البنيوي" موته " ،لايعودكما نعتقد الى عدم فهم الناقد العربي للمنهج، كما لايعود الى فشله في تطبيقه، وانما يعود الى خلل في المنهج نفسه ،لسبب تجاهله التام لهذا الحضور. ومهما حاول الناقد أن يبعد المؤلف عن نصه ،فسوف يبقى هذا المنشئ حاضرا في نصه ،لأنه وليده وكل مولود جديد لابد وأن يشترك في صنعه اثنان ، وأحد هذين الاثنين هو المنشئ ولا شك .

هوامش

١- يمنى العيد : في معرفة النص ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٥ ص : ٢٧ .

٢ - إبراهيم السعافين : اشكالية القارئ في النقد الألسني" بحث مقدم الى مهرجان المربد الشعري التاسع (٢٤- ١٩٨٨/١٢/١) ص : ٢٨ .

٣ - شكري عياد : مقدمة في اصول النقد ، دار الياس العصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٤ - نفسه ، ص : ٦٤ .

٥ - رولان بارت : النقد والحقيقة ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، الشركة العربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، ١٩٨٥ ، ص ٨٩ .

٦ - فؤاد أبو منصور : النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا ، دارالجيل بيروت ١٩٨٥، ص : ٢٨٧ .

٧ - عبد الله الغذامي : الخطيئة والتكفير النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ١٩٨٥، ص : ١٥ .

٨ - الشفرة (Code) هي اللغة الخاصة بالسياق . أي انها الاسلوب الخاص بالجنس الأدبي الذي ينتمي اليه النص . والشفرة . خاصية ابداعية قابلة للتجدد والتغير والتحول ، ويستطيع

كل جيل أدبي أن يبدع شفرته الخاصة وكذلك المبدع أو المنشىء نفسه قادر على ابتكار شفرته التي تحمل خصائصه هو جنبا الى جنب مع خصائص شفرة السياق الخاصة بالجنس الأدبي الذي ينتمي اليه النص .

را . عبد الله الغذامي : الخطيئة والتكفير ، ص : ١٠

٩ – السياق (Context)، هو الطاقة المرجعية للقول ، ويمثل خلفية للرسالة . وتكمن هذه الخلفية المتلقي من تفسير المقولة وفهمها . وعليه فان السياق هو الرصيد الحضاري للقول . ولكل نص أدبي سياق يحتويه ويشكل له حالة انتماء وحالة ادراك . كما أن كل نص أدبي هو حالة انبثاق عما سبقه من نصوص تماثله في جنسه الأدبي .

را د. عبد الله الغذامي : الخطيئة والتكفير ، ص : ٩.

ولشرح أوفي عن مفهوم السياق،را جون لاينز ، اللغة والمعنىوالسياق ، ترجمة د. عباس صادق الوهاب ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٧،ص ٢٢٢ – ٢٢٨ .

١٠– الرسالة (message) القول اللغوي المتجه من الباحث الى المتلقي وغاياتها نقل الفكرة .

١١– وليم راي : المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧،ص١٢٦

١٢– البنية : في المنهج النقدي البنيوي لاتعني فقط النسق أو النظام الذي يفسر هذا القول . وعليه فان دراستهم لقول ماتهدف الى الكشف عن النسق الذي اتخذه القول لادراك العلاقات القائمة فيه .

١٣– يتردد عند بارت التعريف نفسه . "ففي الدرجة الصفر للكتابة" يعرف اللغة بأنها:" معطى اجتماعي ..... ملكية مشاع للناس لا للكتاب" (الدرجة الصفر للكتابة): ترجمة محمد برادة دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، ط٢ ، ١٩٨٢، ص : ١٣ .

١٤– يمنى العيد : في معرفة النص ،ص ٣١.

١٥– زكريا ابراهيم : مشكلة البنية ،ص٤٨

١٦ – فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث ...، ص : ٤٥ .

١٧– وليم راي : المعنى الأدبي ...،ص:١٢٦

١٨– رولان بارت : النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط، ١٩٨٥ ، ص : ١٠٣ .

١٩– R.Barthes; Image, Music, Text "Essays Selected and translated by Stephen Heath , Hill and Wang New york , 1977, pp. 160 - 161.

٢٠– Ibid , P . 162

٢١– رولان بارت : " موت المؤلف " ترجمة عبد السلام بنعبد العالي مجلة "المهد" عمان ، العدد السابع، السنة الثانية ١٩٨٥ ، ص : ١٠ .

٢٢– نفسه .

٢٣ – نفسه .

٢٤ – نفسه

٢٥ – نفسه . ص: ١٠ – ١١ .

٢٦ – نفسه ، ص ١١

٢٧ – نفسه ، ص ١٢ – ١٣ .

٢٨ – الدراسات التي خططنا لدراستها هي:

* دراسة الدكتور كمال أبو ديب لخمرية أبي نواس التي مطلعها .

يا ابنة الشيخ أصبحينا
مالذي تنتظرينا

(جدلية الخفاء والتجلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤ ص : ١٦٨ - ١٩٢).

* دراسة الدكتور عبد الله الغذامي لقصيدة حمزة شحاته " ياقلب مت ضمأ " (الخطيئة والتكفير ، ص ٢٥٩ - ٢٩٠).

* دراسة الدكتور مالك المطلبي لقصيدة المنخل اليشكري :

ان كنت عاذلتي فصيري
نحو العراق ولا تحوري

(قدم الدكتور المطلبي دراسته للقصيدة في مؤتمر " اتجاهات النقد الأدبي الحديث في العراق " الذي أقامه قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة الموصل في الفترة من ١٨ - ٢٠ /١٩٨٩/٣/ . ودراسته للقصيدة كانت بعنوان " الصعلوك : حفريات في نص جاهلي " وجاءت في تسع وعشرين صفحة).

* دراسة الدكتورة يمنى العيد لرسالة الخليفة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري . (في معرفة النص ، ص ١٧١-١٨٢)

٢٩ - جدلية الخفاء والتجلّي ،ص ١٦٨-١٩٢.
٣٠ - نفسه ، ص : ١٧٦ .
٣١ - نفسه ، ص : ١٧٧ - ١٧٨ .
٣٢ - نفسه ، ص ١٧٤ .
٣٣ - نفسه ، اشارة رقم ١ ،ص : ٢٦٠ .
٣٤ - نفسه ، ص : ١٧٥ .
٣٥ - نفسه .
٣٦ - ص : ٢
٢٧ - أبو نواس (الحسن بن هانىء): ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت . ص ٣٠ .
وكانت هذه القصيدة ايضا موضع دراسة من الدكتور أبو ديب بعد دراسته للقصيدة التي نحن بصددها . را .جدلية الخفاء والتجلي ، ص ١٩٢ - ٢١٨ .
٣٨ - وليم راي : المعنى الأدبي ... ، ص ١٣٧ .
٣٩ - نفسه
٤٠ - إبراهيم السعافين :" اشكالية القارىء في النقد الألسني "، ص : ٢٤ .
٤١ - شكري عياد : مقدمة في اصول النقد ص : ٦٤ .
٤٢ - يمنى العيد : في معرفة النص ص ١٣٢ .

المراجـــــــع

١- يمنى العيد : في معرفة النـــــص ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ٣ ، ١٩٨٥ .

٢ - إبراهيم السعافين : " اشكاليـــــة القارىء في النقد الألسني " مهرجـــان المربد الشعري التاسع : ٢٤-١٩٨٨/١٢/١

٣ - شكري عياد : مقدمة في أصول النقد دار الياس العصرية ، القاهرة، ١٩٨٧.

٤ - رولان بارت : النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب ، الشركة العربيـــة للناشرين المتحدين ،الرباط ، ١٩٨٥.

٥ - فؤاد أبو منصور : النقد البنيـــوي الحديث بين لبنان وأروبا ، دارالجيل بيروت ، ١٩٨٥ .

٦ - عبد الله الغزامي : الخطيئة والتكفير النادي الأدبي الثقافي ، جدة ١٩٨٥ .

٧ - جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة د. عباس صادق الوهاب منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٧

٨ - وليم راي : المعنى الأدبي مـــــن الظاهراتية الى التفكيكية ، ترجمـــة د. يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد ، ١٩٨٧ .

٩ - زكريا إبراهيم : مشكلة البنيـــة ، دار مصر للطباعة ، القاهرة، ١٩٧٦.

١٠ - رولان بارت : الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة ، دار الطليعة للطباعةوالنشر ، بيروت ، والشركة المغربية للناشرين المتحدين الرباط ط ٢ ، ١٩٨٢ م.

١١ - Roland Berthes: Image, Music , Text , " Essays selected and translated by Stephen Heath , Hill and Wang, New york, 1977.

١٢ - رولان بارت : " موت المؤلف " ترجمة عبد السلام بنعبد العالي مجلـــــة " المهد " ، عمان ، العدد السابـــع السنة الثانية ١٩٨٥ .

١٣- كمال أبو ديب : جدلية الخفاء والتجلي دار العلم للملايين ، بيروته ط ٣ ، ١٩٨٤ .

١٤ - أبو نواس (الحسن بن هانىء):ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ،بيروت د. ت .